﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٥٣﴾ [فصلت: 53]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

البُشرى بظهور الدَّلائل على وحدانيَّة الله وقدرته، وحَقّيَّةِ ما جاء به الرَّسول

بعد أن أمرَ اللّٰهُ تعالى رَسولَهُ ﷺ أنْ يَقولَ لِلمُشرِكينَ ما فيهِ تَخويفُهُم مِن عَواقِبِ الشِّقاقِ، على تَقديرِ أنْ يَكونَ القُرآنُ مِن عِندِ اللّٰه، وهُم قَد كَفَروا بِهِ؛ ناسب أن يَعِدَهُ في هذه الآية على سَبيلِ التَّسْلِيَةِ والبِشارَةِ بِأنَّ اللّٰه سَيَغْمُرُ المُشْرِكينَ بِطائِفَةٍ مِن آياتِهِ يَتَبَيَّنونَ بِها أنَّ القُرآنَ مِن عِندِ اللّٰه حَقًّا، فلا يَسَعُهُم إلّا الإيمانُ بِهِ، وسَتَظهَرُ دَلائِلُ حَقّيَّتِهِ في الآفاقِ البَعيدَةِ عَنهُم وفي قَبيلَتِهِم وأنفُسِهِم، فتَتَظاهَرُ الدَّلائِلُ على أنَّهُ الحَقُّ، فلا يجدون إلى إنْكارِها سَبيلًا[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡأٓفَاقِ﴾: (أفق) أصلٌ واحِدٌ، يَدُلُّ على تَباعُدِ ما بَيْنَ أطرافِ الشَّيءِ واتِّساعِهِ، وعلى بُلوغِ النِّهايَةِ، ومِن ذَلِكَ الآفاقُ: النَّواحي والأطرافُ، وآفاقُ البَيتِ مِن بُيوتِ الأعرابِ: نَواحيهِ دونَ سَمكِهِ، يُقالُ: أفَقَ الرَّجُلُ؛ إذا ذَهَبَ في الأرضِ[2]، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ﴾، أي: في النَّواحي، وواحِدُهُ أفق، قال تعالى: ﴿وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٧﴾ [النجم: 7]، وقال: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ٢٣﴾ [التكوير: 23][3].

2) ﴿يَكۡفِ﴾: (كفي) أصلٌ يَدُلُّ على الحَسْبِ الَّذي لا مُسْتَزادَ فيهِ، يُقالُ: كَفاكَ الشَّيءُ يَكْفيكَ، وقد كَفى كِفايَةً؛ إذا قامَ بِالأمْرِ، والكُفْيَةُ: القوتُ الكافي، والجَمْعُ كُفًى، ويُقالُ: حَسْبُكَ زَيْدٌ مِن رَجُلٍ،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 18.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أفق).
(3) الراغب، مفردات القرآن: (أفق)، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (أفق).

وكافيكَ[1]، والكِفايَةُ: ما فيه سدُّ الخَلَّة وبلوغ المراد في الأمر، قال تعالى: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ [الأحزاب: 25]، وقال: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ۝٩٥﴾ [الحجر: 95]، وقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ۝٧٩﴾ [النساء: 79] معناه: اكْتَفِ باللهِ شهيدًا[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الـدَّلائـلُ على قُدرة اللهِ وحقّيّة الـقـرآنِ بـاديـةٌ في الآفـاقِ وفي أنفسِ المُشركين

في هذه الآيةِ يبشِّرُ اللهُ تعالى نبيَّهُ ﷺ، ويَعِدُه قائلًا: سنُطلع النّاس على دلائل وحدانيَّتنا وقدرتنا في أقطار السَّموات والأرض، من شمسٍ وقمرٍ ونجومٍ، وليلٍ ونهارٍ، ورياح وأمطار، وزرع وثمار، ورعد وبرق وصواعق، وجبال وبحار، وسنطلعهم على آثار قدرتِنا في أنفسِهم عن طريق ما أودعنا فيهم من حواسَّ وقوًى وعقل وروح، وعن طريق ما يصيبهم من خير وشرٍّ، ونعمة ونقمة، وغير ذلك ممّا يدلُّ على وحدانيَّة الله تعالى، وقدرته، وعلى صحَّة دين الإسلام الَّذي جاء به الرَّسول ﷺ، ثمَّ توبِّخ الآيةُ الكافرين على عنادِهم مع ظهور الأدلَّة على أنَّ ما جاء به الرَّسول مِن عند ربِّه هو الحقُّ المبين[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ الفصل في الآية:

جاءت جملةُ: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ مفصولةً عن قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾، وهذا ما يُعرف بلاغيًّا بشبه كمال الاتِّصال، الَّذي تُجيب فيه الجملةُ الثّانية عن سؤال أثارتْهُ الآية الأولى في نفس المتلقّي عن الكيفيَّة الَّتي سيَرى بها الكفّارُ أنَّ ما أُرسل به الرَّسولُ هو الحقُّ، فتأتي الآية الثّانية؛ لتبيِّن أنَّ الله تعالى

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كفا).
(2) الراغب، مفردات القرآن: (كفى).
(3) طنطاوي، التفسير الوسيط: 12/ 366، 367.

سيُريهم ذلك في الآفاق وفي أنفسِهم، ومِن ثَمَّ تفصلُ عنها، كما يُفصلُ الجوابُ عن السُّؤال، "والتَّعليلُ راجِعٌ إلى إحالَتِهم على تَشكيكِهم في مَوقِفِهم لِلطَّعْنِ في القُرآنِ، وقَد سَكَتَ عَمّا يَتَرَتَّبُ على ظُهورِ الآياتِ في الآفاقِ وفي أنفُسِهِمُ المُبَيِّنَةِ أنَّ القُرآنَ حَقٌّ؛ لأنَّ ما قَبْلَهُ مِن قَولِهِ: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ ينبئُ عَن تَقديرِهِ، أي: لا يَسَعُهُم إلّا الإيمانُ بِأنَّهُ حَقٌّ، فمَن كانَ مِنهُم شاكًّا مِن قَبلُ عَن قِلَّةِ تَبَصُّرٍ؛ حَصَلَ لَهُ العِلمُ بَعدَ ذَلِكَ، ومَن كانَ إنَّما يَكْفُرُ عِنادًا واحتِفاظًا بِالسِّيادَةِ؛ افتَضَحَ بُهتانُهُ، وسَفَّهَهُ جيرانُهُ"[1].

معنى السّين:

السّين في قوله: ﴿سَنُرِيهِمْ﴾ حرفُ استقبالٍ، يدلُّ على تأكيد إراءتهم الدَّلائل الدّامغة على صِدق الرَّسول فيما جاء بهِ، في المستقبل القريب، وليس البعيد.

دلالةُ فِعل الرُّؤية مضارعًا معظَّمًا:

إراءةُ المشركين وغيرِهم الدَّلائلَ والآياتِ أمرٌ سهلٌ على اللهِ جلَّ في علاه

جيءَ بفعل الرُّؤية مضارعًا، فقيل: ﴿سَنُرِيهِمْ﴾؛ لأنَّ الإراءة ستكون في المستقبل، وأسندَ إلى ضميرِ الحقِّ بصيغة التَّعظيم؛ للإشارة إلى سهولتهِ على الله، وقيام الله تعالى على ذلك بنفسهِ، ما يؤكِّد وقوعَه، وينفي عنه الاحتمالَ والشَّكَّ[2].

مرجعُ الضَّمير في: ﴿سَنُرِيهِمْ﴾ ودلالته:

إراءةُ الآياتِ ستكون للمشركين والنّاس أجمعين

الضَّميرُ المنصوب: (هُمْ) في ﴿سَنُرِيهِمْ﴾ عائدٌ إلى الكفّار الَّذين أُمِر النَّبيُّ ﷺ بمخاطبتِهم في قوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ﴾، والمعنى: سنُري الكافرين - الَّذين ينكرون أنَّ القرآنَ مِن عندِ الله - الدَّلائلَ والآيات في الآفاق وفي أنفسِهم

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 18.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 224.

على أنَّ ما جاء به الرَّسولُ حقٌّ، ويمكن أن يُرادَ به: الناس أجمعون، ويدخل فيهم الكافرون دخولًا أوَّليًّا.

دلالةُ جمعِ الآيات:

الآيـاتُ الـدّالَّـةُ عـلى حـقّيَّـة ما جاء به الرَّسولُ كثيرةٌ ومتنوِّعةٌ

قولُهُ: ﴿ءَايَٰتِنَا﴾ مفعولٌ ثانٍ لفعل الإراءة، أوثرَ التَّعبيرُ به جمعًا؛ للدَّلالةِ على كثرة الآياتِ وتنوُّعِها؛ لتشْمَلَ الدَّلائلَ الخارِجَةَ عَنِ القُرآنِ، وما يَشمَلُ آياتِ القُرْآنِ، فإنَّ مِن جُمْلَةِ مَعنَى رُؤيَتِها: رُؤيَةَ ما يُصَدِّقُ أخبارَها، ويُبَيِّنُ نُصحَها إيّاهُم، بدَعوتِها إلى خيرَيِ الدُّنيا والآخِرَةِ[1]، والقصدُ مِن تكثير الآيات وتنويعها تبشيرُ الرَّسول والمؤمنين وتثبيتُهم، وإلجامُ الكافرين، وقطعُ الشَّكِّ في نفوسهم، وكفُّهم عن الجدال والمراء في شأن ما جاء بهِ الرَّسولُ ﷺ، كما ستوضِّح الآيةُ فيما بعد.

سرُّ تعريفِ الآيات بإضافتها إلى ضمير التَّعظيم:

عـظـمـةُ الآيـات تُـسـتَـمـدُّ من عظمةِ الله الَّذي أضـافـهـا إلى نفسه

جيء بالمفعول الثّاني لفعل الإراءة مضافًا إلى ضمير الحق سبحانه بصيغة المتكلِّم المُعَظِّم نفسَه، فقيل: ﴿ءَايَٰتِنَا﴾؛ لتعظيم الآيات وتفخيمها[2]، والدَّلالة على أنَّها مِن عند الله، الَّذي لا يُعجزه شيءٌ في الأرض ولا في السَّماء، والمُطَّلِعُ على ما يدور في نفوس خلقِهِ وعقولهم، ويدخل فيهم منكرو الرِّسالة دخولًا أوَّليًّا.

معنى ﴿فِي﴾:

قولُهُ تعالى: ﴿فِي ٱلْءَافَاقِ﴾ جارٌّ ومجرور في محل نصب حال من الآيات، والتَّعبير فيه بحرف الجرِّ المفيد للظَّرفيَّة دالٌّ على أنَّ الآياتِ المُتحدَّثَ عنها ستتخلَّل "النواحي عمومًا في مشارق الأرض ومغاربها وشمالها وجنوبها، وفيه أيضًا دلالةٌ على أنَّها كائنةٌ - لا محالة - وحقٌّ لا يحوم حوله ريبةٌ"[3].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 18.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 224.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 13/ 7.

وجهُ التَّعبيرِ بلفظ ﴿ٱلۡأٓفَاقِ﴾ جمعًا:

الآيات والدَّلائل ستعمُّ الكونَ كلَّهُ، ولن تقتصرَ على ناحية مكَّة وما حولها

عبَّر النَّظمُ الكريم بالاسم المجرور جمعًا، فقال: ﴿ٱلۡأٓفَاقِ﴾، والمراد به: نواحي الكون كلِّه، وجهاته الشَّرقيَّة والغربيَّة والشَّماليَّة والجنوبيَّة، والقصدُ مِن ذلك أن تَعُمَّ الدَّلائلُ والآياتُ العالمَ كلَّهُ، وألّا تقتصرَ على ناحية مشركي مكَّة وما حولها، فيكون ذلك أدعى للتَّصديق، وأقوى في البرهنة على أنَّ ما جاء به الرَّسولُ حقٌّ، وأنَّه مِن عند الله ﷻ، والمقصود بها: ما أخبرهم به النَّبيُّ ﷺ مِن الحوادث الآتية، وآثار النّوازل الماضية، وما يسَّر الله له ولخلفائه مِنَ الفتوح والظُّهور على ممالك الشَّرق والغرب على وجهٍ خارقٍ للعادة[1]، وقيل: ما في أقطار السَّمواتِ والأرضِ من الشَّمسِ والقمرِ والنُّجومِ وما يترتَّب عليها مِنَ اللَّيلِ والنَّهارِ والأضواءِ والظِّلالِ والظُّلماتِ ومن النَّباتِ والأشجارِ والأنهارِ[2].

توجيهُ العطفِ بالواو:

ذكر الآفاق أوَّلًا؛ لأنَّه أقربُ إلى الكمال، وعطف عليه النَّفس؛ لأنَّه محسوسٌ

جاء قولُه: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ معطوفًا على ﴿ٱلۡأٓفَاقِ﴾ بالواو؛ للدَّلالة على أنَّ الآياتِ لن تكونَ في آفاق الكونِ فقط، وأنَّها ستشمل أنفس المشركين، وما هو قريب منهم، أومحيطٌ بهم، وهو معطوف على ما قبله "عَطْفَ الخاصِّ على العامِّ، أي: وفي أُفُقِ أنفُسِهم، أي: مَكَّةَ وما حَولَها على حَذْفِ مُضافٍ"[3]، وثنَّى بالأنفس؛ لأنَّها "لمّا كان الإيمانُ بالغيب هو المعتبر، وكلُّ ما كان أقرب إليه؛ كان أقربَ إلى الكمال، وكانت آياتُ الآفاق أقربَ إلى ذلك؛ بدأ بها، ثم قال: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾"[4]؛ لأنَّها المحسوسة.

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 5/ 75.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 19.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 19.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 225.

لطيفةُ تَكرارِ حرفِ الجر:

أعاد النَّظمُ الكريمُ التَّعبيرَ بحرف الجرِّ المفيد للظَّرفية، مع إمكان الاكتفاءِ بالأوَّل، فقال: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾، ولم يقل: (في الآفاق وأنفسهم)؛ لتأكيد أنَّ الله تعالى سيريهم آياتٍ ودلائلَ تؤكِّد صِدقَ ما جاء بهِ الرَّسول ﷺ في أنفسِهم أيضًا؛ ليكون شعورُهم بغيرها أتمَّ، وتصديقُهم لجميع الآيات وما تدلُّ عليه أقوى وأوجب.

دلالةُ لفظِ الأنفس جمعًا وتعريفًا بالإضافة:

سيرى كلُّ منكرٍ هـذه الآيـات في نفسهِ، ويتأكَّد منها بنفسه

قولُه تعالى: ﴿أَنفُسِهِمۡ﴾ معناه: "ما ظهر فيما بين أهلِ مكَّة وما حلَّ بهم، أو ما في بدن الإنسان مِن عجائبِ الصُّنع الدّالَّة على كمال القدرة"[1]، وقيل: ما في أنفسِهم مِن لطيفِ الصُّنعة وبديعِ الحكمةِ في تكوينِ الأجنَّةِ في ظلماتِ الأرحامِ وحدوثِ الأعضاءِ العجيبةِ والتَّركيباتِ الغريبةِ[2]، وأيًّا كان المرادُ؛ ففي التَّعبير به جمعًا مضافًا إلى ضمير المشركين أو النّاس أجمعين؛ دلالةٌ على أنَّ كلَّ واحدٍ مِنَ المُتَحَدَّث عنهم سيرى هذه الآياتِ في نفسهِ، وسيتأكَّدُ منها بنفسهِ، وليس بواسطة أحدٍ آخر.

معنى ﴿حَتَّىٰ﴾:

﴿حَتَّىٰ﴾ حرفُ جرٍّ يدلُّ على أنَّ الغايةَ مِن إراءتهم هذه الآياتِ الكثيرةَ والمتنوِّعةَ هي أن يتَّضح لهم بما لا يدع مجالًا للشَّكِّ أنَّ ما جاء به الرَّسولُ حقٌّ لا يقبل المِراء.

دلالةُ الفعل ﴿يَتَبَيَّنَ﴾ مضارعًا:

الآيـاتُ ستظهرُ متتابعةً بعضُها في إثرِ بعضٍ إلى قيام السّاعة

أوثرَ التَّعبيرُ بالفعل: ﴿يَتَبَيَّنَ﴾؛ للدَّلالة على أنَّ هذه الآياتِ والدَّلائل ستكون مِن الوضوح والبيان بشكلٍ لا تحتاج إلى إعمال فِكر أو كدِّ ذهنٍ، وجيء به مضارعًا دالًّا على الاستمرار

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 5/ 75.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 19.

التَّجدُّدي؛ للإشارة إلى أنَّها ستظهرُ متتابعةً، بعضُها في إثر بعضٍ إلى قيام السّاعة[1].

دلالةُ التَّعبير بالجار والمجرور:

اللامُ في قوله: ﴿لَهُمۡ﴾ حرفُ جَرٍّ يفيد الاختصاص، والضَّمير المجرور فيه يعود إلى المشركين أو إلى النّاس أجمعين، وفي التَّعبير بهما دلالةٌ على أنَّ هذه الآيات مسوقةٌ؛ ليتبيَّن المشركون بصفة خاصَّةٍ والنّاسُ بصفةٍ عامَّة صِدقَ ما جاء به الرَّسولُ ﷺ، وحَقّيَّةَ ما بُعِثَ به.

بلاغةُ التَّوكيد في المصدر المؤول: ﴿أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ﴾ ومرجع الضَّمير فيه:

قولُه تعالى: ﴿أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ﴾ مصدر مؤول في محلِّ رفع فاعل ﴿يَتَبَيَّنَ﴾، والضَّمير المنصوب فيه يعود إلى القرآن أو إلى الرَّسول ﷺ أو إلى التَّوحيد أو إلى الله[2]، ويجمع كلَّ ذلك أن يُقال: عائدٌ إلى ما جاء به الرَّسول أو إلى الدّين، وأيًّا كان مرجعُ الضَّمير؛ فمجيءُ فاعل ﴿يَتَبَيَّنَ﴾ مؤكَّدًا بـ(إنَّ) والجملة الاسميَّة وتعريف الخبر فيه دلالةٌ قاطعةٌ على حقّيَّة ما جاء به الرَّسولُ ﷺ، وأنَّ الآياتِ التي سيُظهرُها اللّهُ تعالى ستقتلع الشَّكَّ مِنَ الجذور، والرَّيبَ من الأعماق، ولن يبقى أمامَ الناس إلّا التَّصديقُ والإيمانُ؛ إن كانوا من ذوي العقول الرّاجحةِ، والقلوب الصّافيةِ.

الآياتُ الَّتي سيظهرها اللهُ في الآفاق وفي النُّفوس ستقتلع الشَّكَّ من جذوره

دلالةُ تعريف ﴿ٱلۡحَقُّۗ﴾:

تعريفُ الخبر في قوله: ﴿أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ﴾ بـ(أل) يجعل المصدر المؤول مِن باب قصر الموصوف على الصِّفة قصرًا حقيقيًّا تحقيقيًّا، أو قصرًا إضافيًّا غرضُه القلبُ، وطريقُه تعريف الطَّرفين، وفيها قُصِرَ فيه ما جاء به الرَّسول ﷺ على كونهِ الحقَّ "الكاملَ في الحقّيَّة الَّذي

ما جاء به الرَّسول هو الحقُّ الكاملُ في الحقّيَّة

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 226.

(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 75.

تطابقه الوقائعُ، وتصادقه الأحوالُ العارضةُ والصَّنائعُ، فيجتمعون عليه، ويُقبلون بكلِّ قلوبِهم إليه، فلا يأباهُ في جزيرة العرب إنسانٌ، ولا يختلف فيه منهم اثنان، ثم ينبثّون في أرجاء الأرض بطولها والعرض، فيظهر بهم على سائر الأديان، ويَبيدُ على أيديهم أهل الكفران، في سائرِ البلدان، ويزول به كلُّ طغيان، فيكون ظهورُهم عظةً لهم، ولكلِّ مَن يأتي بعدَهم، يوجب الثَّبات في محال الزلزال"[1].

بلاغةُ الاستفهام بالهمزة:

تحقيقُ تَيَقُّنِ النَّبيِّ بكفالةِ ربِّه، وعدم الالتفات لِتَكذيب المشركين

الهمزةُ في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾؛ للاستفهام التَّقريريِّ؛ تَحقيقًا لتيقُّن النَّبيِّ ﷺ بِكَفالَةِ رَبِّهِ، بحيثُ كانَتْ مِمّا يُقَرَّرُ عليها؛ كِنايَةً عَنِ اليَقينِ بِها، والمعنى: تَكْفيكَ شَهادَةُ رَبِّكَ بِصِدْقِكَ، فلا تَلتَفِتْ لِتَكْذيبِهِم، ويمكنُ أن يكونَ الاستفهام إنكاريًّا؛ إنكارًا لِعَدَمِ الاكتِفاءِ بِالقَسَمِ بِاللّه، وهو كِنايَةٌ عَنِ القَسَمِ، وعَن عَدَمِ تَصديقِهِم بِالقَسَمِ، فيَكونُ مَعنَى الآيَةِ قَريبًا مِن مَعنَى قَولِهِ تَعالَى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الرَّعد: 43]، وقَولِهِ تَعالَى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ [العنكبوت: 52][2]، والمعنى: أو لم يَكفِهِم أنَّ رَبَّكَ على كُلِّ شَيءٍ شَهيدٌ[3]؟.

دلالةُ التَّركيبِ في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾:

الهمزةُ في قولِهِ: ﴿أَوَلَمْ﴾ للاستفهام، كما سبق بيانُهُ، والواو حرف عطف على مُقَدَّرٍ يقتضيه السّياق، تقديرُهُ: ألم يغنِهم، ولم يكفِهم، و(لَمْ) حرف جزم، و﴿يَكْفِ﴾ فعلٌ مضارع مجزوم وعلامة الجزم حذف الياء، والباء حرف جرٍّ، و(رَبِّكَ) مجرور لفظًا مرفوع محلًّا، والمفعول به محذوفٌ، و(أنَّ) وما في حيِّزها بدلٌ مِن (رَبِّكَ)؛

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 227.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص: 20.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 574.

فهو مرفوعُ المحلِّ مجرور اللَّفظ[1]، وهذا البناءُ التَّركيبي معناه: ألم يغنِ عن الآيات الموعودة الدّالَّة على صحَّة ما أُرسلت به، أنَّ ربَّك - أيُّها الرَّسول الكريم - شهيدٌ على كلِّ شيء، وعلى أنَّك صادق فيما تبلِّغه عنه[2].

دلالةُ المضارع المجزوم: ﴿يَكْفِ﴾:

شـهـادةُ الـلـه بحقّيَّة ما جاء به الرَّسولُ فيها الغناءُ والكفايةُ

عبَّر البيانُ الكريمُ بفعل الكفاية الموضوع للقيام بالأمر وسدِّ الخَلَّة وبلوغ المراد[3]؛ للدَّلالة على أنَّ شهادةَ اللهِ بحَقّيَّة ما جاء به الرَّسولُ وصدقِهِ فيها الغناء والكفاية، ولا يُحتاج معها إلى أدلَّة وبراهين لإثبات ذلك، وجيء به مضارعًا، فقيل: ﴿يَكْفِ﴾؛ للدَّلالة على امتداد هذه الكفايةِ وصلاحيَّتها في الحال والاستقبال.

معنى الباء في ﴿بِرَبِّكَ﴾:

الباءُ في: ﴿بِرَبِّكَ﴾؛ لتأكيد كفايةِ شهادة الله، وتقوية عدم الاحتياج إلى شيءٍ آخر.

دلالةُ التَّعبيرِ بلفظ الرُّبوبيَّة، والسِّرُّ في إظهاره:

مُـنـشِئُ الآيـاتِ هو الرَّبُّ المهيمنُ المُطَّلِعُ على كُلِّ شيءٍ

كان مقتضى الظّاهر أن يُعَبَّر بالضَّمير، فيُقال: (أولم يكفِ به؟)، أو (أولم يكفِ بنا؟)، ولكن النَّظم الكريم عدل إلى التَّعبير باسم الجلالة بعنوان الرُّبوبيَّة، الدّالِّ على رعاية الله تعالى لمصالح خلقِهِ، قائلًا: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾؛ للإشارةِ إلى ضرورة الاكتفاء بالله تعالى شهيدًا، لما هو معهودٌ عنه مِنَ القيام بأمور خلقِهِ على أفضل حال، ورعايتِهِ لمصالحهم على خيرِ وجهٍ، والمعنى: أولم يكفِ بربِّك المُحسن إليك بهذا البيان المعجز للإنس والجنِّ شهادةً بأنَّه

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 19، والآلوسي، روح المعاني: 13/ 7، والدرويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 8.

(2) طنطاوي، التفسير الوسيط: 12/ 367.

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كفا)، والراغب، مفردات القرآن: (كفى).

من عنده[1]، يقول الآلوسيُّ: "وفي قوله تعالى: ﴿بِرَبِّكَ﴾ مضافًا إلى ضميرِه ﷺ، وإيثاره على (أولم يكفِ به) إشعارٌ بأنَّه ﷺ وأتباعه من كلِّ العارفين هم الَّذين يكفيهم شهودُهُ على كلِّ شيء دليلًا، وأنَّ ذلك لهم نفس عنايته تعالى وتربيته من دون مدخل لتعلُّمهم فيه"[2]، وأظهرَ الاسمَ الجليل في موضع الإضمارِ؛ "للإشعار بالعِلِّيَّة وأنَّ هذه الآيات إنَّما صلحت للدَّليل على حَقِّيَّةِ المطلوب؛ لأنَّ مُنْشِئَها مَنْ هو على كلِّ شيءٍ مهيمِنٌ مُطّلِعٌ[3].

بلاغةُ الالتفاتِ في الآية:

تثبيتُ النَّبيِّ والمؤمنين وتسليتُهم في مقام التَّكذيب والتَّشكيك

في التَّعبيرِ باسم الرَّبِّ الجليل مضافًا إلى ضمير المخاطَب في قوله: ﴿بِرَبِّكَ﴾ التفاتٌ مِنَ الغيبة إلى الخطاب، حيث كان مقتضى الظّاهر أن يُقال: (أولم يكفِ بربِّهم؟)، لكنَّ البيانَ عدل عن التَّعبيرِ بضمير الغيبةِ العائد إلى المشركين إلى ضميرِ خطاب الرَّسول ﷺ؛ لتشريف النَّبيِّ وتكريمه، مع تثبيته وتثبيت المؤمنين معه وتسليتهم في مقام التَّشكيك والتَّكذيب للدّين.

بلاغةُ حشد التَّوكيدات:

إظهارُ آياتِ الله في الآفاق وفي أنفسهم سيراه النّاسُ ويشاهدونه

قولُه: ﴿أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ مصدر مؤول في محل رفع بدل من (رَبِّكَ)، جيء به مؤكَّدًا بـ(إنَّ)، والجملة الاسميَّة، وحرف الاستعلاء، والتَّعبير بما يفيد الاستغراق والشُّمول في: ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾؛ لتأكيدِ أنَّ "هذا الموعودَ مِن إظهار آيات الله في الآفاق وفي أنفسِهم سيرونه، ويشاهدونه، فيتبيَّنون عند ذلك أنَّ القرآنَ تنزيلُ عالمِ الغيب، الَّذي هو على كلِّ شيء شهيدٌ، أي: مطَّلِعٌ مهيمنٌ، يستوي عنده غيبُه وشهادتُه، فيكفيهم ذلك دليلًا

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 228.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 13/ 9.
(3) الطيبي، حاشية على الكشاف: 13/ 628.

على أنَّه حقٌّ، وأنَّه من عنده، ولو لم يكن كذلك؛ لما قَوِيَ هذه القوَّة، ولما نُصِرَ حاملوه هذه النُّصرة"[1].

معنى ﴿عَلَىٰ﴾:

﴿عَلَىٰ﴾ في قوله: ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ حرفُ جرٍّ يفيد الاستعلاء، وهو أصلُ معانيه، وفي التَّعبير به دلالةٌ على هيمنة الله الكاملة واطِّلاعه الشّامل[2] على ما جاء به الرَّسول وإحاطته بصدق ما يقوم بإبلاغهِ للنّاس، وعدم شذوذ شيء مِن ذلك عن علمه.

لا يَشِذُّ عن عِلم الله وإحاطته أيُّ شيء

نكتةُ التَّعبير بلفظ: ﴿كُلِّ﴾:

التَّعبيرُ عن الاسم المجرور بـ ﴿كُلِّ﴾ فيه دلالةٌ على الشُّمول واستغراق كلِّ الأشياء، والمعنى: لا يغيب عنه شيءٌ مِنَ الأشياء، لا هذا القرآن ولا غيره[3].

وجهُ التَّعبيرِ بلفظ ﴿شَيۡءٖ﴾:

كما عبَّر النَّظمُ بلفظ: ﴿شَيۡءٖ﴾ مضافًا إلى ﴿كُلِّ﴾؛ للدَّلالة على إحاطةِ الله واطِّلاعه على كلِّ الأشياء ما صغُر منها وما كبُر، وما هو حادثٌ، وما هو قديمٌ[4]، وما هو قليلٌ، وما هو كثيرٌ، ويدخل فيها ما جاء به الرَّسولُ وما يفعله معه المشركون دخولًا أوَّليًّا.

اللهُ تعالى شهيدٌ على الحادث والقديم، والقليل والكثير، والصَّغير والكبير

سرُّ التَّعبير بلفظ ﴿شَهِيدٞ﴾ مادَّة وصيغة:

أوثرَ التَّعبيرُ عن الخبر بلفظ: ﴿شَهِيدٞ﴾ بصيغة فعيل؛ للتَّأكيد والإبلاغ في شهادةِ الله تعالى واطِّلاعه على كلِّ شيءٍ يحدث من المشركين ومِن غيرهم، والمعنى: "ألم يُغنِهم عن إراءة الآيات الموعودة المبيِّنة لحقّيَّة القرآن، ولم يكفِهم في ذلك أنَّه تعالى شهيدٌ على جميع الأشياء، وقد أخبر بأنَّه مِن عنده ﷻ، وفي العدول إلى

نصرةُ الله تعالى للنَّبيِّ ﷺ ومَن معه كائنةٌ لا محالة

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 207.
(2) الزمخشري، الكشاف: 4/ 207.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 228.
(4) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 3/ 411.

هذه العبارة فائدتان: **إحداهما**: تحقيقُ إنجاز ذلك الموعد كأنَّه مُشاهَدٌ، بذكرِ الدَّليل القاطع على الوقوع، **والأخرى**: الدَّلالة على أنَّ هذه الإراءةَ قد تمَّت بالنِّسبة لإثبات حقّيَّة القرآن؛ لأنَّ مَنْ عَلِمَ أنَّه تعالى على كلِّ شيء شهيدٌ، وعَلِمَ أنَّ القرآن معجزٌ مِن عنده؛ علم أنَّ جميع ما فيه حقٌّ وصدقٌ"[1].

(1) الآلوسي، روح المعاني: 13/ 6، 7.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والخمسون،
سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والخمسون، سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 52 ، 818 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-48-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 52 : المجلد الثاني والخمسون، سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-48-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0346315 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"